وقال أبو روق: إنّها تكتب للكفّار، وذلك أنّ رسول ا (صلى ا عليه وآله) كان يجهر بالقراءة في الصلوات كلّها، وكان المشركون يقولون: (لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ). فربّما صفّقوا وربّما صفّروا وربّما لغطوا; ليغلّطوا النبيّ (صلى ا عليه وآله)، فلمّا رأى رسول ا (صلى ا عليه وآله) ذلك أسرّ في الظهر والعصر وجهر في سائرها، وكانوا يضايقونه ويؤذونه، فأنزل ا تعالى هذه الحروف المقطّعة، فلمّا سمعوها بقوا متحيّرين متفكّرين، فاشتغلوا بذلك عن إيذائه وتغليطه، فكان ذلك سبباً لاستماعهم وطريقاً إلى انتفاعهم. وقال الأخفش: إنّما أقسم ا بالحروف المعجمة، لشرفها وفضلها، ولأنّها مباني كتبه المنزلة بالألسن المختلفة، ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وأُصول كلام الأُمم بما يتعارفون ويذكرون ا ويوحّدونه، وكأنّه أقسم بهذه الحروف أنّ القرآن كتابه، وكلامه لا ريب فيه. وقال النقيب: هي النبهة والاستئناف; ليعلم أنّ الكلام الأوّل قد انقطع، كقولك: ولا، إنّ زيداً ذهب. وأحسن الأقاويل فيه وأمتنها، أنّها إظهار لإعجاز القرآن وصدق محمد (صلى ا عليه وآله); وذلك أنّ كلّ حرف منه، من هذه الحروف الثمانية والعشرين[498]. والعرب تعبّر ببعض الشيء عن كلّه، كقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لاَ يَرْكَعُونَ)[499] أي: صلّوا لايصلّون. وقوله: (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)[500] فعبّر بالركوع والسجود عن الصلاة إذ كانا من أركانها.